المبحث الثاني
ميزات وخصائص ومراسيم تقليد الوزير العباسي والسلجوقي وألقابهم

أولاً: مراسيم تقليد الوزير العباسي:

كان الخليفة العباسي يختار وزيره بناء على معرفته للشخص المرشح للوزارة وثقته فيه نتيجة لما قدمه من خدمات للدولة تثبت كفايته لهذا المنصب، وعلى سبيل المثال استوزر الخليفة المقتفي لأمر الله عون الدين يحيى بن هبيرة بناء على ما بذله ابن هبيرة من جهد أثناء توليه ديوان الزمام، ولما قدمه من آراء صائبة للخليفة بشأن علاقة الخلافة العباسية بالسلطنة السلجوقية [1]، وفي بعض الأحيان كان الخليفة يستشير المقربين إليه فيمن يرونه أهلاً لتولي وزارته، فيشيرون عليه بتولية شخص معين لخبرته الإدارية وأمانته، فيقبل الخليفة تزكيتهم، ويسند وزارته إلى ذلك الشخص، وهذا ما حدث عندما استوزر الخليفة القائم بأمر الله أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست سنة 453هـ [2]. وقد يحدث أن يرشح السلطان السلجوقي شخصاً معيناً ليكون وزيراً للخليفة، فيوافق الخليفة على ترشيح السلطان أو يرفضه كما حدث عندما رفض الخليفة القائم بأمر الله ترشيح السلطان ألب أرسلان لأبي العلاء محمد ابن الحسين في سنة 464هـ [3]، بينما قبل الخليفة المسترشد بالله في سنة 516هـ ترشيح السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه لأحمد بن نظام الملك واستوزره الخليفة فعلاً[4].

وإذا استقر رأي الخليفة على إسناد منصب الوزارة إلى شخص معين، أمر باستدعائه إلى دار الخلافة، وفي اليوم المقرر لإجراء مراسيم التعيين يحضر الشخص المرشح إلى دار الخلافة ومعه كبار رجال الدولة قاضي القضاة وصاحب المخزن، وكاتب الإنشاء، وحاجب دار الخلافة فيبلغ الخليفة الشخص المرشح مشافهة باختياره وزيراً له [5]، ويخلع عليه خلع الوزارة، وتشمل جبة وعمامة وسيفاً ومركباً وفرساً، ويسلم إليه العهد بالوزارة، ثم يركب الوزير من دار الخلافة إلى مقر الوزارة والناس بين يديه، ومن بينهم كبار الدولة، وعندما يجلس في دست الوزارة يقرأ كاتب الإنشاء عهد الخليفة له بالوزارة [6].

ويختم الحفل بقراءة ما تيسر من القرآن، وإنشاد ما نظمه الشعراء لهذه المناسبة من مدائح [7] وقد جرت العادة أن الوزير الجديد إذا وصل إلى الديوان، وجلس في دست الوزارة أن يبادر إلى كتابة رسالة للخليفة تتضمن الدعاء والثناء له إشعاراً بتسلمه مهام منصبه[8] وكان الخليفة العباسي إذا ما أراد أن يزيد من تكريم من يختاره للوزارة أو لنيابة الوزارة، أصدر توقيعاً موجزاً، يثني فيه

(1) أخبار الدولة السلجوقية ص 120 وفيات الأعيان (231/6، 232).
(2) تاريخ دول آل سلجوق ص 21.
(3) المصدر نفسه ص 42.
(4) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 127.
(5) المنتظم (125/10).
(6) وفيات الأعيان (233/6).
(7) وفيات الأعيان (233/6) ذيل طبقات الحنابلة (253/1).
(8) مضمار الحقائق للأيوبي ص 205، نظام الوزارة ص 128.

على الشخص المرشح ويشيد فيه بصفاته الحميدة ليرفع من شأنه أمام الناس، وكانت إجراءات تعيين نائب الوزير لا تختلف كثيراً عما كان يتبع عند تعيين الوزير غير أن الخليفة كان ينيب عنه من يتولى تقليد نائب الوزير وتسليمه العهد ومنحه الخلع [1].

ثانياً: مراسيم تقليد الوزير السلجوقي:

يقوم السلطان السلجوقي بتحديد الشخص المراد توليه منصب الوزارة معتمداً على بعض الضوابط في اختياره لوزيره منها مدى ممارسة الشخص في المهمات الإدارية كأن يكون كاتباً للإنشاء أو صاحب ديوان، وفي بعض الأحيان يعتمد على استشارة بعض المقربين إليه [2]؛ ولذا تدرج بعض الأشخاص في المناصب الإدارية حتى وصلوا إلى منصب الوزارة، فالوزير نظام الملك أبو علي الحسن الطوسي كان كاتباً للأمير تاجر صاحب بلخ [3]، وكان يكتب لأبي علي بن شاذان، إلا أن أبا علي كان يصادر نظام الملك أبي علي الحسن الطوسي؛ لذلك هرب نظام الملك، واتجه للعمل في دواوين السلطان داوود بن ميكائيل، فأثبت للسلطان قدراته الإدارية ونجح في أداء مهامه الإدارية بحيث أصبح بيده جميع الأمور بعدها يقوم السلطان بإرسال حاجبه لاستدعاء الشخص المراد توليه منصب الوزارة ومثوله أمام حضرة المراد توليه منصب الوزارة ومثوله أمام حضرة السلطان، وبعد مثول الشخص أمام حضرة السلطان، تجري محادثات ومشاورات واتفاقيات بين السلطان والشخص المراد نيل الوزارة لتحديد المهمات الإدارية والسياسة والمالية، وتحديد الحقوق والواجبات لكلا الطرفين [4]، ومن المتعارف عليه أن الشخص المراد توليه منصب الوزارة، عندما يستدعى إلى حضرة السلطان ليقرأ عليه عهد السلطان بتولية منصب الوزارة يأتي الوزير وهو محمل بالهدايا الثمينة بما فيها الخيول والخيم والسيوف والذهب، فلما جاء فخر الملك أبو علي عمار بن محمد بن نظام الملك في سنة 512هـ من خراسان لنيل منصب الوزارة جاء محمل بالهدايا الثمينة بما فيها الذهب والخيول، والسيوف والخيم والطبول، فقدمها هدية للسلطان بمناسبة توليه الوزارة [5].

ثالثاً: ألقاب الوزير العباسي:

استمر خلفاء بني العباس في العهد السلجوقي في تلقيب وزرائهم كسابق عهدهم في عهد بني بويه، غير أنه كان هناك فروق واضحة بين العهدين البويهي والسلجوقي بالنسبة للألقاب وتتمثل:

1- كان للألقاب في العهد السلجوقي احترامها، فهي مصونة، ولا تمنح إلا لمن يستحقها[6] فعلاً من كبار رجال الدولة، وفي مقدمتهم الوزراء، وكان الخلفاء والسلاطين لا يسرفون في بذل الألقاب.

2- يرجع تعدد الألقاب في العهد السلجوقي إلى عاملين:

(1) رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ص 81.
(2) المنتظم(64/09، 65) الوزارة العباسية ص 56.
(3) المنتظم (64/9)، النجوم الزاهرة (137/5).
(4) الوزارة العباسية ص 56.
(5) المصدر نفسه ص 57.
(6) الروضتين في أخبار الدولتين (24/1).

أولهما: أن بعض الوزراء كان يحمل لقباً قبل أن يلي الوزارة، فلما ولي هذا المنصب لقبه الخليفة لقباً ثانياً كالمتبع في تقليد الوزراء إذ ذاك.

أما العامل الثاني: في تعدد الألقاب، فيرجع إلى حرص الخلفاء والسلاطين على منح الوزراء الذين يبذلون جهداً كبيراً في خدمة الدولة ألقاباً تقدير لكفايتهم، وقد ظهر تعدد ألقاب وزراء الخلافة العباسية بشكل واضح في نزاع الخلافة مع السلطنة السلجوقية للتخلص من نفوذها.

3- تجلت في الألقاب ظاهرة الإضافة إلى الدين بالنسبة لوزراء الخلفاء العباسيين، كظهير الدين، وجلال الدين، وعون الدين، أما بالنسبة لوزارة سلاطين السلاجقة فكان يضاف إلى ألقابهم الملك، مثل نظام الملك وعميد الملك وفخر الملك وتاج الملك ويذكر السيوطي أن أول تلقيب أضيف إلى الدين كان في سنة 476هـ، عندما استوزر الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله أبا شجاع محمد بن الحسين الروذراوري ولقَّبه " ظهير الدين " [1]، وقد تجلت ظاهرة تعداد ألقاب وزراء الخلفاء العباسيين بشكل واضح أثناء فترة نزاع الخلافة العباسية مع السلطنة السلجوقية، أما قبل ذلك فلم يتلقب بأكثر من لقب سوى الوزير محمد بن محمد بن جهير، وكان يتلقب بعميد الدولة، شرف الدين [2]، وقيل: بل كان يتلقب بلقب واحد، هو عميد الدولة [3]، ولما ولي الخليفة المسترشد بالله الخلافة أخذ يمنح الألقاب لوزرائه، ويبدو أن الخليفة قصد من ذلك دفعهم لبذل جهد أكبر في تنفيذ سياسة الخلافة التي انطوت على التخلص من نفوذ سلاطين السلاجقة واستعادة هيبة الخلافة وسلطتها [4].

ولما استوزر المسترشد بالله أبا علي الحسن بن علي بن صدقة، منحه عدة ألقاب هي: جلال الدين سيد الوزراء، صدر الشرق والغرب، صفي أمير المؤمنين [5]، وقيل: صدر الوزراء، صفي أمير المؤمنين[6]. هذا فضلاً عن لقبه السابق عميد الدولة [7].

وفي سنة 544هـ استدعى الخليفة المقتفي لأمر الله يحيى بن هبيرة إلى دار الخلافة وقلده منصب الوزارة وقد أثبت هذا الوزير كفاءته ومقدرته الإدارية العالية حتى نال ثقة الخليفة، كما كان له اليد القوية في إنهاء النفوذ السلجوقي في بغداد؛ لذا لقبه الخليفة بالألقاب الرنانة منها: عون الدين، جلال الإسلام، صفي الإمام، شرف الأنام، معز الدولة، مجير الملّة، عماد الأمة، مصطفى الخلافة، تاج الملوك والسلاطين، صدر الشرق والغرب، سيد الوزراء [8]. إلا أن الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة رفض مناداته بلقب سيد الوزراء وقال: لا تقولوا في ألقابي سيد الوزراء، فإن الله - تعالى -

(1) تاريخ الخلفاء نقلاً عن نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 132.
(2) حسن المحاضرة (198/2) نظام الوزارة ص 133.
(3) المنتظم (118/9).
(4) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 133.
(5) المصدر نفسه ص 134.
(6) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 210.
(7) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 210.
(8) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (321/6).

سمى هارون وزيراً [1].

رابعاً: ألقاب الوزير السلجوقي:

وأما بالنسبة للسلطان السلجوقي فقد سار على نفس المنوال الذي سار عليه خلفاء بني العباسي في تلقيب وزرائهم بالألقاب الرنانة، فقد أخذ سلاطين السلاجقة يلقبون الوزراء بمن تتوفر فيهم صفة الكفاءة الإدارية الناجحة وما يقدمه الوزير من أعمال جليلة للسلطان بحيث يكسب ود ورضا السلطان عنه، ففي سنة 455هـ، خلع السلطان طغرل بك أبو شجاع محمد بن ميكائيل بن سلجوق على وزيره عميد الملك أبو نصر محمد بن منصور الكندري وزاده في ألقابه جزاء على توصله رضا السلطان عنه[2]. وخلال هذا العصر استفحلت ظاهرة تعدد الألقاب [3] ويعتبر الوزير السلجوقي نظام الملك الطوسي أول وزير تلقب بأكثر من لقب في العهد السلجوقي، ويرجع هذا بلا شك إلى إخلاص نظام الملك في عمله، ومكافأة له على جهوده التي بذلها في إدارة الدولة السلجوقية، إذ كان اليد الموجهة لها في عهد السلطانين ألب أرسلان وابنه ملكشاه، كان لقب هذا الوزير في عهد السلطان ألب أرسلان هو: نظام الملك خواجة بزرك [4]، ثم زاد الخليفة القائم بأمر الله في تكريم نظام الملك فلقبه: بقوام الدين والدولة، رضي أمير المؤمنين [5]. ولما ولي ملكشاه السلطنة زاد في ألقاب نظام الملك لقب: " أتابك الجيوش " [6] ويأتي الوزير السلجوقي أحمد بن نظام الملك في المرتبة الثانية بعد والده نظام الملك في التلقب بأكثر من لقب، فكان يلقب قبل إسناد الوزارة إليه " ضياء الملك" [7]. فلما استوزره السلطان محمد بن ملكشاه في سنة 500هـ منحه ثلاثة ألقاب هي: قوام الدين، نظام الملك، صدر الإسلام [8].

ويبدو أن السلطان محمد منح أحمد بن نظام الملك هذه الألقاب الثلاثة وفاءً لحق والده نظام الملك وتقديراً لإخلاصه في خدمة دولة السلاجقة، كما يظهر في النص التالي: استشار السلطان في من يجعله وزيراً، فذكر له جماعة، فقال السلطان: إن آبائي رأوا على نظام الملك البركة، وله عليهم الحق الكثير، وأولاده أغذياء نعمتنا، ولا معدل عنهم [9].

خامساً: امتيازات الوزير العباسي:

نال الوزير العباسي امتيازات واسعة بعد نيله دست الوزارة، ومن أولى هذه الامتيازات تمليكه

(1) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (321/6).
(2) المنتظم (230/8)الوزراة العباسية ص 62.
(3) الوزارة العباسية ص 62.
(4) المنتظم (435/8) ذيل تاريخ دمشق ص 121.
(5) البداية والنهاية نقلاً عن نظام الوزارة ص 132.
(6) البداية والنهاية نقلاً عن نظام الوزارة ص 132.
(7) دولة آل سلجوق ص 88، نظام الوزارة في العهد العباسي ص 132.
(8) الكامل في التاريخ نقلاً عن نظام الوزارة ص 132.
(9) المصدر نفسه ص 133.

داراً يقيم فيها ولإنجاز مهامه الإدارية [1]، وأصبح للوزير الحق في الجلوس في صدر الرواق ويجلس بين يديه الحجاب والقواد، وعندما ينال الوزير دست الوزارة يقوم الخليفة العباسي بتعيين مجموعة من الحرس يقفون على بابه ويكون واجبهم هو حماية الوزير والمحافظة عليه [2]، وإذا حضر الوزير مجلسه فسرعان ما يحضر معه عدد من الغلمان المسلحين بحمايته، وإذا خرج الوزير فسرعان ما يخرج معه الغلمان شاهرين أسلحتهم، وقد نال وزراء العباسيين مكانة مرموقة لدى خلفائهم بحيث زادت امتيازاتهم ومنها أن الخليفة سمح لهم بأن يضرب البوق عندما يخرجون لأداء أعمالهم [3]، ومن امتيازات الوزير أنه سمح لحضور مجلس الخليفة في أيام محددة من الأسبوع أو في المناسبات وإذا حضر المجلس فإنه لا بد أن يجلس في المكان المخصص له، وغالباً ما يكون مواجهاً للخليفة ومعه دواته [4]. وأما من حيث شارات الوزير، فقد كان الوزير العباسي يلبس الملابس السوداء وهو اللباس الرسمي له لأنه يعبر عن شعار الدولة العباسية، فلباسه يتكون من الجبة على العادة والفرجية والعمامة السوداء[5]، وكان الوزير العباسي يلبس في الاحتفالات الرسمية ملابس خلعة الوزارة التي خلعها عليه الخليفة حينما ولى دست الوزارة، وهي ملابس رسمية مكونة من قباء وسيف بمنطقة وقميص وعمامة سوداء[6]، وحينما يخرج الوزير لاستقبال الوفود الآتية إلى حضرة الخليفة أو لأداء فريضة الحج كان يخرج في موكب فخم ويمشي بين يديه أصحاب المناصب العالية.

ففي عهد الخليفة القائم بأمر الله عندما خرج الوزير رئيس الروساء أبو القاسم على بن أحمد بن المسلمة لاستقبال السلطان السلجوقي طغرل بك، خرج في موكب فخم ومعه أصحاب المناصب العالية والمراتب وقاضي القضاة والشهود والجنود [7].

وأما بالنسبة إلى راتب الوزير العباسبي خلال هذا العصر، فقد اتضح بأن الغالبية العظمى من وزراء بني العباس الذين وصلوا إلى دست الوزارة، كانوا بالأساس من الطبقات الغنية وهذا ما دفع الكثير منهم إلى رفض رواتبهم الشهرية، ففي سنة 453هـ، نال الوزير ابن الفتح منصور بن أحمد بن دارست الوزارة حيث رفض استلام رواتبه خلال توليه الوزارة وبذلك فإنه خدم بغير إقطاع، علماً بأنه كان غنياً ويعمل تاجراً [8]وعندما ولي الخليفة المقتدي بأمر الله الوزارة لظهير الدين أبي شجاع محمد بن الحسين الروذراوري، كان الوزير يمتلك ستمائة ألف دينار، وقد أنفقها جميعاً على الفقراء

(1) الوزارة العباسية ص 65.
(2) الوزارة العباسية ص 65.
(3) المنتظم (273/10).
(4) الوزارة العباسية ص 66.
(5) الأنباء في تاريخ الخلفاء ص 212.
(6) المنتظم (222/10).
(7) دولة آل سلجوق ص 12الوزارة العباسية ص 67.
(8) دولة آل سلجوق ص 24، الوزارة العباسية ص 67.

والمحتاجين واليتامى والأرامل حال استلام دست الوزارة [1].

أما الوزير ظهير الدين أبو بكر منصور بن أبي القاسم نصر بن العطار الذي استوزر للخليفة العباسي المستضيء، كان غنياً ويعمل تاجراً في ابتداء أمره [2]، وعلى الرغم من ثراء وزراء بني العباسي إلا أن الخلفاء العباسيين أصروا على منح وزرائهم الرواتب، والمخصصات والقطائع والمنح، كبديل لما يقدمونه من خدمات وأعمال جليلة تخدم بها كيان الدولة العباسية، ففي سنة 477هـ، أقطع الخليفة المقتدي بأمر الله وزيره أبا شجاع محمد بن الحسن بن عبد الله الروذراوري: قطائع تقدر ببضعة عشر ألف دينار [3]، وفي زمن الخليفة المقتفي لأمر الله نال عون الدين، يحيى بن هبيرة الوزارة، وكانت إيرادات مشاهرته في كل سنة مائة ألف دينار [4]، ولما نجح الخليفة المقتفي لأمر الله في استعادة سلطته في العراق أقطع وزيره عون الدين يحيى بن هبيرة جميع ما كان لوزير السلطان السلجوقي وعماله في بلاد العراق من إقطاعات [5]، وفي بعض الأحيان كان الخليفة العباسي يعطي للوزير الرواتب العينية من أرزاق وملابس، فالوزير فخر الدولة أبو نصر محمد بن جهير وزير الخليفة المقتدي بأمر الله، كان راتبه في كل يوم: ألف رطل لحم هذا سوى الشوايا والدجاج والحلواء والفاكهة، إضافة إلى الملابس [6]، ويتضح أن راتب الوزير في العصر السلجوقي شهد زيادة ملحوظة، فبينما كان راتب الوزير البويهي خمسين ألف دينار في العام أصبح راتب وزير الخليفة في عصر السلاجقة مائة ألف دينار [7].

سادساً: امتيازات وشارات الوزير السلجوقي:

من أولى امتيازات الوزير السلجوقي هو أن يخصص له داراً يجلس فيه عند استدعائه لنيل الوزارة، ومن امتيازات الوزير السلجوقي، كان يضرب على بابه الطبول في أوقات الصلوات دلالة على فخامته وعظمة منزلته، فعندما نزل الوزير مؤيد الملك بن نظام الملك بداره في سنة 475هـ ضرب له النوبة على بابه، وكان يحق للوزير مرافقة السلطان السلجوقي في الأعياد والمناسبات وأثناء تفقده إلى الأقاليم والولايات، وكان يحق له حضور المجلس العام للسلطان [8]، ويمتاز موكب الوزير أثناء خروجه مع السلطان، أو لاستقبال وفد الخليفة والدول، بالفخامة والأبهة، ويذكر البنداري أن موكب الوزير عميد الملك الكندري أبي نصر محمد بن منصور، عندما دخل مع السلطان طغرل بك إلى بغداد سنة 447هـ، امتاز بالفخامة والهيبة بحيث لا يقل عن هيبة موكب

(1) المنتظم (90/9) الوزارة العباسية ص 68.
(2) الفخري، ابن طباطبا ص 68.
(3) المنتظم (10/9) الوزراة العباسية ص 68.
(4) الوزارة العباسية ص 68.
(5) دولة آل سلجوق ص 215، نظام الوزارة ص 131.
(6) رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ص 86، نظام الوزارة.
(7) الفخري، ابن طباطبا ص 227، الوزارة العباسية ص 69.
(8) رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ص 86.

السلطان[1]، ومن امتيازات الوزير السلجوقي، عندما يخرج من الديوان متجها للجامع أو للبيت كان يسير في موكب فخم بين يديه الغلمان حاملين السيوف، فعندما خرج الوزير كمال الملك أبو الحسن بن أحمد السميرمي من بغداد إلى همدان، ركب الوزير وكان بين يديه الغلمان حاملين السيوف [2]، فضلاً عن ذلك كان للوزير السلجوقي علامة خاصة به وهي بمثابة التوقيع، فالوزير نظام الملك أبو علي الطوسي كانت علامته "الحمد لله على نعمه " [3]. و " الحمد لله المنعم " [4] وأما بالنسبة إلى راتب الوزير، فلكون هؤلاء الوزراء من الأغنياء فإنهم لم يكن الراتب الشهري دافعاً لهم للتطلع إلى الوزارة [5].

كما كان أغلب وزراء السلاجقة يقدمون الكثير من الهدايا الثمينة والأموال إلى السلطان لينالوا منصب الوزارة، فالوزير فخر الملك أبو الفتح المظفر بن نظام الملك أبي علي الطوسي، قدم الكثير من الأموال والهدايا الثمنية للسلطان بركيارق بن ملكشاه، عندما أراد الوصول إلى دست الوزارة [6]. وعلى الرغم من غنى وزراء السلاطين، فإن سلاطين السلاجقة خصصوا لوزرائهم رواتب شهرية أو منحاً مالية، حيث أخذ الوزير نظام الملك أبو علي الحسن الطوسي راتباً قدره: عشر مال السلطان [7]، كما يخلع السلطان ملكشاه على الوزير نظام الملك أبي علي الطوسي عندما نال الوزارة خلعاً وأعطاه: عشرين ألف دينار. كما حصل وزراء السلاطين على الكثير من المنح والقطائع عند توليهم دست الوزارة، فقد أعطى ملكشاه وزيره نظام الملك أبا علي الطوسي بلدة طوس[8].

* * *

(1) دولة آل سلجوق ص 12، الوزارة العباسية ص 70.
(2) الوزارة العباسية ص 70.
(3) المصدر نفسه ص 70 دولة آل سلجوق ص 59.
(4) الوزارة العباسية ص 70.
(5) نظام الوزارة في الدولة العباسية ص 129.
(6) الوزارة العباسية ص 70.
(7) المصدر نفسه ص 71، آثار البلاد وأخبار العباد ص 412.
(8) المصدر نفسه ص 71.